صناعة الخوف" في استراتيجية الإدارة الأمريكية وتنظيم القاعدة! كتب: أسامة رشدي

إن كان هناك ثمة استراتيجية مشتركة بين كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وتنظيم القاعدة في هذه المرحلة من الصراع بينهما، فهي رغبة الطرفين في صناعة جو من الخوف وتصدير الرعب في كل الاتجاهات كل وفق رؤيته وأجندته الخاصة به.. فلا يكاد يمر يوم بدون صدور تحذير من أحد أجهزة الأمن والاستخبارات الأمريكية أو من الأجهزة المتحالفة معها، أو من الإدارة نفسها ممثلة في وزارة العدل أو الخارجية أو البيت الأبيض.. عن قرب تنفيذ تنظيم القاعدة لعمليات جديدة داخل أمريكا وخارجها، وقد شملت التحذيرات تفجير الطائرات أو تفجير المباني السكنية، أو تدمير أنفاق وكباري علوية، أو سفن حربية، وذلك باستخدام سيارات إسعاف أو شاحنات وقود أو قنابل قذرة أو سفن تجارية أو حتى وسائل بيولوجية وكيميائية.. وهلم جرا.. والملفت أن الإدارة الأمريكية لا تدخر جهدا في توجيه من تصفهم بالإرهابيين إلى كل النقاط الحساسة في الولايات المتحدة، شارحة أهميتها ومواطن ضعفها وحجم الخسائر والأضرار التي ستترتب على استهدافها وتستفيض في ذلك، وكأنهم يساعدون تنظيم القاعدة أو غيره في وضع خريطة لأهم الأهداف الأمريكية، والوسائل المتاحة والممكنة للاستخدام عند استهدافها. فهل هذه سذاجة أم أنه تصرف مدروس وسديد؟!. وبالطبع فقد أدت هذه السياسة لخلق حالة من الفزع والرعب والاضطراب والضغط على المواطنين الأمريكيين انتقلت تدريجيا إلى كل حلفاء أمريكا في أوروبا.. ومن ناحية أخرى فقد عبر الخطاب الإعلامي لتنظيم القاعدة عن شماتته من حالة الفزع الأمريكي، وسعى لاستثمارها والبناء عليها، وصعد من تهديداته بشن المزيد من الهجمات في الوقت والمكان المناسبين. كما ورد في الشريط الأخير للمتحدث باسم تنظيم القاعدة الشيخ سليمان أبو غيث والذي تحدث عن فشل الإدارة الأمريكية وعجزها عن تحقيق أهدافها من الحملة التي استهدفت أفغانستان.. فتنظيم القاعدة ليس لديه الآن ما يخسره من وراء الاستمرار في تبني مثل هذا النمط من الخطاب، وهو يسعى في المقام الأول لإثبات وجوده وفعاليته وذلك بالتأكيد على سلامة قياداته وعلى رأسهم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري. وعلي مسؤوليتهم عن تبني العمليات السابقة بالإضافة لحادث جربة في تونس، سواءً كان هذا التبني حقيقي أو نسجا وتوظيفا لما يشاع في وسائل الإعلام.. ومن هنا فالطرفان يسعيان لتوظيف الخوف للوصول لتحقيق بعض النتائج.. فإذا كانت أهداف القاعدة معروفة وجلية فكيف يمكن تفسير الموقف الأمريكي؟ الحقيقة يخطئ كل من يعتقد أن ما نقرأه في وسائل الإعلام الأمريكية بشأن هذه التحذيرات يعبر بالحقيقة عن واقع الأمور، فقد قال المسئولون الأمريكيون من قبل أنهم يخوضون حربا غير تقليدية لا في وسائلها ولا في أساليبها وهي حرب تستخدم فيها وسائل الخداع والمراوغة على قدم وساق مع القاذفات وطائرات الاستطلاع والمارينز.. ولكن الراجح أن هذه التحذيرات المتهافتة والمبالغ فيها تهدف لخلق حالة من الخوف والرعب المبرمج لدي المواطنين وذلك لأهداف داخلية وخارجية.. فداخليا صدم الرأي العام الأمريكي من عجز كل هذه الأجهزة في التنبؤ أو اجهاض أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهناك تحقيقات جارية الآن حول فشل الأجهزة الأمنية من الاستفادة مما توفر حينها من دلائل كان يمكن أن تحول دون تنفيذ الهجوم في الحادي عشر من سبتمبر. وقد تدفع هذه العقدة هذه الأجهزة بالإبلاغ عن أقل الإشارات خوفا من اتهامها مستقبلا بالتقصير وقد تلازم هذه العقدة عمل الإدارات الأمنية الأمريكية لفترة من الزمن. . وفي نفس الاتجاه يساهم إشاعة الجو المترتب على هذه التهديدات في الإبقاء على الدعم الشعبي لهذه الإدارة، وعلى تراجع الأصوات المنادية بالتحقيق والمحاسبة عما حدث في الحادي عشر من سبتمبر، على اعتبار أن أمريكا مازالت في حالة حرب لم تنتهي بعد.. بالإضافة إلى أن هذا الجو يمكن توظيفه في خلق رأي عام يؤيد بدافع الخوف الحقيقي خطوات الإدارة في تطوير ما يسمي بالحرب ضد الإرهاب، وتصدير هذه الحرب لبلدان ومناطق أخرى من العالم تطبيقا للعقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والقاضية بالمبادرة بتوجيه الضربات الوقائية لمن تعتبرهم خصوما. وهو أمر يحتاج لتهيئة الرأي العام لتقبل أي خسائر محتملة بسبب هذه المغامرات العسكرية حيث لا يوجد أقوى من مبرر الخوف الجدي من التهديدات مع استحضار ما حدث في سبتمبر.. وهناك من يتهم هذه الإدارة بتوظيف هذه التهديدات في اطار الصراع السياسي الداخلي بين الجمهوريين والديمقراطيين حيث أن أمريكا على أبواب انتخابات التجديد النصفي لأعضاء الكونجرس وحكام الولايات، وقد يساعد هذا الجو في الاستمرار في دعم الجمهوريين.. وخارجيا فإن الولايات المتحدة في حاجة لإقناع الحلفاء بضرورة البدء في المراحل التالية لما تصفه بالحرب ضد الإرهاب، وقد تساعد إشاعة أجواء الخوف وعدم الاستقرار في الدفع بهذه الدول للانضمام للجهود الأمريكية والمشي مع الولايات المتحدة لآخر الشوط، خاصة وأن أمريكا تريد استحداث تغييرات جوهرية في العالم أجمع وهي تقاوم العديد من الاعتراضات في هذا الإطار وفي حاجة لعوامل ضغط مختلفة على صناع القرار والرأي العام في العالم.ومن هنا فمن المؤكد أن صناعة الخوف وبث الرعب وعدم الأمن هو إحدى وسائل سياسة التضليل الإعلامي التي أسست لها وزارة الدفاع الأمريكية إدارة خاصة باسم "إدارة التضليل الإعلامي" قيل أنه يتم إلغاؤها بعد افتضاح أمرها –كما قيل-.ومن هنا فإن الخطاب الإعلامي التهديدي الأجوف لتنظيم القاعدة لا يساهم في الحقيقة إلا في دعم المجهود الأمريكي الذي يستهدف إسقاط عدد من الأنظمة والقضاء على عدد من الجماعات الإسلامية، وتصفية العديد من القضايا الإسلامية العادلة وفقا للمنظور الأمريكي الذي بات متضامنا مع كل من يغتصبون حقوق المسلمين سواءً في كشمير أو فلسطين أو الشيشان أو الفلبين أو غير ذلك من القضايا.. الخطاب الإعلامي لتنظيم القاعدة بدأ يذكرني بالخطاب الناصري في أعقاب هزيمة يونيو. حيث قالوا لنا بأن إسرائيل كانت تستهدف عبد الناصر، وبما أن عبد الناصر موجود فنحن انتصرنا !!. هكذا.. يتحدثون اليوم عن الانتصارات التي تحققت بسلامة 98% من قيادات التنظيم من الحملة الأمريكية.. ويتناسون ما دون ذلك من عشرات آلاف الأرواح التي أزهقت، وعن الدولة الإسلامية التي ضيعت، وعن قائمة طويلة من الخسائر والمفاسد التي تحققت لكن بما أن الزعيم حي يرزق فإننا قد انتصرنا !!.إن استمرار تنظيم القاعدة في تبني هذا النمط من الخطاب لا يساهم إلا في دعم سياسة الولايات المتحدة وحلفائها ولا

ينعكس إلا بالضرر على مصالح المسلمين وقضاياهم العادلة في فلسطين وكشمير والشيشان وفي سائر البلاد العربية والإسلامية والغربية. فمتى سيدرك إخواننا هؤلاء ذلك